بسم الله الرحمن الرحيم

 (أصناف الناس)

(خطبة الجمعة لفضيلة الشيخ د. أحمد بن حمد البوعلي)

**الخطبة الأولى**

عِبَادَ اللهِ: أَمَانِي النَّاسِ فِي حَيَاتِهِمْ كَثِيرَةٌ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَهِيَ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ تَفْكِيرِ النَّاسِ وَتَوَجُّهَاتِهِمْ وَحَاجَاتِهِمُ الَّتِي يَفْتَقِدُونَها فِي هَذِهِ الدُّنْيا، فَالْفَقِيرُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرَى نَفْسَهُ غَنِيًّا يَتَنَعَّمُ بِما يَتَنَعَّمُ بِهِ غَيْرُهُ مِنَ الْأَثْرِيَاءِ، وَالمرِيضُ يَتَمَنَّى الشِّفَاءَ مِنْ مَرَضِهِ الَّذِي أَلْزَمَهُ الْفِرَاشَ وَمَنَعَهُ لَذَّةَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالذَّهَابَ وَالْإِيابَ، وَالْيَتِيمُ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ بَيْنَ أَحْضَانِ وَالِدَيْهِ وَيَنْعَمَ بِشَفَقَتِهِمْ عَلَيْهِ، وَالمرْأَةُ غَيْرُ المتَزَوِّجَةِ تَتَمَنَّى زَوْجًا كَرِيمًا يَعْرِفُ لَهَا قَدْرَهَا وَيَقُومُ عَلَى رِعَايَتِهَا وَحِفْظِهَا، وَغَيْرُ الموَفَّقَةِ فِي زَواجِهَا تَتَمَنَّى تَغْيِيرَ حَالِهَا، وَهَكَذَا النَّاسُ، لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَمَانٍ عَلَى اخْتِلَافِ هِمَمِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ، فَهِيَ كَثِيرَةٌ لَا تَنْتَهِي وَلَا تَنْقَطِعُ.

وَالنَّاسُ فِي هَذِهِ الْأَمَانِي بَيْنَ مُتَمَنٍّ لِلْخَيْرِ فِي دِينِه وَدُنْياهُ، وَبَيْنَ مُتَمَنٍّ لِلشَّرِّ شَعَرَ أَوْ لَمْ يَشْعُرْ، وَقَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ هَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ فعَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيُّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلاَ يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلاَ عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ([[1]](#footnote-1)) ».

وَهَذَا التَّقْسِيمُ لِأَحْوَالِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَبْدَعِ التَّقْسِيمَاتِ الَّتِي لَا يَخْرُجُ عَنْهَا الْبَشَرُ أَبَدًا. قِسْمٌ هُوَ أَفْضَلُ المنَازِلِ، وَقِسْمٌ آخَرُ أَخْبَثُ المنَازِلِ، وَالثَّانِي وَالرَّابِعُ تَبَعٌ لَهُمَا. وَالَّذِي رَفَعَ الرَّجُلَ الْأَوَّلَ وَحَطَّ الرَّجُلَ الثَّالِثَ هُوَ «الْعِلْمُ»، فَالْأَوَّلُ غَنِيٌّ ثَرِيٌّ، هَدَاهُ عِلْمُهُ لِمُرَاعَاةِ اللهِ تَعَالَى فِي مَالِهِ، وَالثَّالِثُ كَانَ جَهْلُهُ قَائِدًا لَهُ إِلَى هَلَكَةِ مَالِهِ فِي الْبَاطِلِ، وَالثَّانِي نَجَا بِالْعِلْمِ، وَالرَّابِعُ هَلَكَ بِالْجَهْلِ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى فَضْلِ الْعِلْمِ عَلَى المالِ.

قَالَ رَبِيعَةُ الرَّأْي -رحمه الله-: الْعِلْمُ وَسِيلَةٌ إِلَى كُلِّ فَضِيلَةٍ ([[2]](#footnote-2)).

 و قَالَ اِبْنُ الْمُبَارَكِ - رحمه الله :« لَا أعْلَمُ بَعْدَ النُّبُوَّةِ دَرَجَةً أفْضَلَ مِنْ بَثِّ الْعِلْمِ([[3]](#footnote-3)) ».

قَالَ الْإمَامُ اِبْن بَاز رَحِمَهُ اللهُ: « يَجِبُ أَنْ تَحْرِص على نَشْرِ الْعِلْمِ بِكُلِّ نَشَاط وَقُوَّة ، وَألَّا يَكُون أَهْلُ الْبَاطِلِ أَنْشَط فِي بَاطِلِهِمْ، وَأن تَحْرِصَ على نَفْع الْمُسْلِمِينَ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ([[4]](#footnote-4)) ».

وَلَا يُشْتَرَطُ لِلْمَرْءِ الْغَنِيِّ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا، بَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِعَالِمٍ إِنْ كَانَ لَا يَعْلَمُ، فَالْمَالُ لَا يُمْدَحُ وَحْدَهُ دُوْنَ عِلْمٍ، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اِثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَآخَرُ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا([[5]](#footnote-5)) ».

فَفِي الْحَدِيثِ قَيْدُ فَضْلِ الْغَنِيِّ بِإِنْفَاقِهِ المالَ فِي «الْحَقِّ» وَلِذَلِكَ قَالَ يَحْيَى بْن مَعَاذ: "مَا أعْرِفُ حَبَّةً تَزِنُ جِبَالَ الدُّنْيَا إِلَّا مِنَ الصِّدْقَةِ ([[6]](#footnote-6)) ".

وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ عِلْمًا وَبَصِيرَةً بِمَا يُرْضِي اللهَ تَعَالَى فِي الْإِنْفَاقِ فِي الْحَقِّ، فَبِالْعِلْمِ وَحْدَهُ يُفَرِّقُ الْمَرْءُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

لَمَّا حَضَرَتْ أَبِا الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ الْوَفَاةُ، وَقَدْ كَانَ تَاجِرًا، قَالَ لَهُ: «يَا بُنَيَّ تَرَكْتُ لَكَ أَلْفَ أَلْفٍ، مَا أَعْلَمُ فِيهَا شُبْهَةً ([[7]](#footnote-7)) ». فَقَالَ: «هَذَا لِأَنَّهُ كَانَ مُصَاحِبًا لِلْعُلَمَاءِ، فَانْتَفَعَ بِهِمْ فِي التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ»، لِذَلِكَ لَمَّا تَرْجَمَ الْبُخَارِيُّ لِوَالِدِهِ، قَالَ: «رَأَى حَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ، وَصَافَحَ ابْنَ المبَارَكِ بِكِلْتَا يَدَيْهِ وسمع مالكا([[8]](#footnote-8)) ».

وَكَفَى بِالْعِلْمِ شَرَفًا، عُلُوُّ الذِّكْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَطِيْبُ الثَّنَاءِ عَبْرَ الْقُرُونِ.

قال الله تعالى: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ([[9]](#footnote-9)) ). فَالْتَّارِيخُ لَمْ يَذْكُرْ لَنَا أَسْمَاءَ الْأَغْنِياءِ فِي زَمَانِ مَالِكٍ أَوِ الشَّافِعِيِّ أَوِ الْبُخَارِيِّ أَوِ التِّرْمِذِيِّ. وَإِنَّمَا ذَكَرَ لَنَا الْأَفْذَاذَ، الَّذِينَ نَتَرَضَّى عَنْهُمْ صَبَاحَ مَسَاءَ.

أَمَّا الرَّجُلُ الثَّانِي فَهُوَ «صَادِقُ النِّيَّةِ» كَمَا وَصَفَهُ صلى الله عليه وسلم، وَالنِّيَّةُ عِبَادَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ لَا تَفْتَقِرُ لِغَيْرِهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ، أَمَّا سَائِرُ الْعِبَادَاتِ فَتَفْتَقِرُ إِلَى النِّيَّةِ، وَقَدْ قَالَ صلى الله عليه وسلم: «يا أيُّها النَّاسُ، إنَّما الْأعْمالُ بالنِّيَّةِ، وَإِنَّما لِكُلّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ([[10]](#footnote-10)) ».

أَيْ: لَا عَمَلَ إِلَّا بِنِيَّةٍ فَقَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: «فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ» تَكْرَارٌ لِلتَّوْكِيدِ وَلِإِعْلَاءِ شَأْنِ حُسْنِ الْقَصْدِ.

فَأَصْحَابُ الْأُمْنِيَةِ اثْنَانِ:

 أَحَدُهُمَا: لَا مَالَ لَهُ، تَمَنَّى أَنْ يُرْزَقَ مَالًا يُسَلِّطُهُ فِي الْخَيْرِ وَالصَّدَقَةِ وَالْبِرِّ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَمُسَاعَدَةِ الْفُقَرَاءِ وَالمحْتَاجِينَ، يُؤَدِّي حَقَّ اللهِ فِيهِ وَحَقِّ النَّاسِ، فَإِنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ صَادِقَةً -وَاللهُ أَعْلَمُ بِالسَّرَائِرِ- جَازَاهُ اللهُ أَحْسَنَ الْجَزَاءِ وَأَثَابَهُ أَعْظَمَ الثَّوَابِ.

 وَأَمَّا الصِّنْفُ الْآخَرُ: فَكَانَتْ أُمْنِيَتُهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَالٌ يَخْبِطُ فِيهِ كَمَا يَخْبِطُ الْفُجَّارُ وَالْفُسَّاقُ بِأَمْوَالِهِمْ فِي طُرُقِ وَسُبُلِ إِضَاعَةِ الْأَمْوَالِ، وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَإِطْفَاءِ نُورِهِ. وَلِذَلِكَ ذَمَّ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَتَمَنَّى عِبَادُهُ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ التَّرَفِ وَالْخُيَلَاءِ وَالمالِ وَالْجَاهِ مِنْ أَجْلِ إِصَابَةِ الدُّنْيا وَالتَّوَسُّعِ فِي مَلَذَّاتِهَا وَبَهَارِجِهَا نَاسِينَ حَقَّ اللهَ تَعَالَى وَحَقَّ عِبَادِهِ فِي ذَلِكَ.

**الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ**

أَمَّا بَعْدُ عَبَادَ اللهِ: فَاتَّقُوا اللهَ فِيْمَا أَمَرَ وَانْتَهُوْا عَمَّا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ. وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّ المؤْمِنَ يُؤْجَرُ عَلَى نِيَّةِ الْخَيْرِ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْهُ، وَفِعْلُ الْخَيْرَاتِ فِي دِينِنَا لَهُ سُبُلُهُ المتَنَوِّعَةُ وَطُرُقُهُ المتَشَعِّبَةُ، فَلَا يَتَوَقَّفُ عِنْدَ الزَّكَوَاتِ وَالصَّدَقَاتِ، بَلْ يَتَعَدَّاهَا إِلَى كُلِّ قَوْلٍ حَسَنٍ وَكُلِّ فِعْلٍ طَيِّبٍ، فَبَادِرْ – أَيُّهَا المسْلِمُ- إِلَى الْخَيْرَاتِ وَسَارِعْ إِلَى الصَّالِحَاتِ، تَنَلِ الْبَرَكَاتِ وَتُسْتَجَابُ مِنْكَ الدَّعَوَاتُ، وَتُفَرَّجُ لَكَ الْكُرُبَاتُ وَتَنَلْ مَرْضَاةَ رَبْ الْبَرِيَّاتِ.

(وسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)([[11]](#footnote-11)).

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِيَّاكَ وَالتَّسْوِيفَ، فَإِنَّكَ بِيَوْمِكَ وَلَسْتَ بِغَدِكَ، فَإِنْ يَكُنْ غَدٌ لَكَ، فَكُنْ فِيهِ كَمَا كُنْتَ فِي الْيَوْمِ، وَإِلَّا يَكُنِ الْغَدُ لَكَ لَنْ تَنْدَمَ عَلَى مَا فَرَّطْتَ فِيهِ ([[12]](#footnote-12)).

بَادِرُوا فِي حَيَاتِكُمْ قَبْلَ فَنَائِهَا، وَأَعْمَارِكُمْ قَبْلَ انْقِضَائِهَا بِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَالْإِكْثَارِ مِنَ الطَّاعَاتِ، فَإِنَّ الْفُرَصَ لَا تَدُومُ، وَالْعَوَارِضُ الَّتِي تَحُولُ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ الْعَمَلِ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ، فَأَنْتَ أَيُّهَا الْعَبْدُ بَيْنَ زَمَانٍ مَضَى لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ، وَزَمَانٍ مُسْتَقْبَلٍ لَا تَدْرِي: هَلْ تُدْرِكُهُ أَوْ لَا؟ وَزَمَانٍ حَاضِرٍ إِنِ اسْتَفَدْتَ مِنْهُ، وَإِلَّا ذَهَبَ مِنْكَ وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ، فَاسْتَدْرِكْ مَا مَضَى بِالتَّوْبَةِ مِمَّا فَرَّطْتَ فِيهِ، وَاسْتَغِلَّ حَاضِرَكَ بِاغْتِنَامِ أَيَّامِهِ وَلَيَالِيهِ، وَاعْزِمْ عَلَى الِاسْتِمْرَارِ فِي الطَّاعَةِ فِيمَا تُدْرِكُ مِنْ مُسْتَقْبَلِكَ يُكْتَبُ لَكَ ثَوَابُ نِيَّتِكَ إِنْ لَمْ تُدْرِكْهُ، وَتُوَفَّقُ إِنْ أَدْرَكْتَهُ لِعَمَلِ مَا نَوَيْتَهُ فِيهِ.

تزوَّد من التــقوى فإنــك لا تـدري        إذا جــنَّ ليلٌ هل تعيشُ إلى الفجـرِ

فكم من صحيح مات من غير علةٍ وكم من عليل عاش حيناً من الدهر([[13]](#footnote-13)).

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنَا الْإِخْلَاصَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

1. ( (سنن التِّرْمِذِيُّ: أبواب الزهد: باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر: حديث رقم (2325)، وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم: (3024). [↑](#footnote-ref-1)
2. ((سير أعلام النبلاء: (6/90)، الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الثالثة ، 1405 هـ / 1985 م. [↑](#footnote-ref-2)
3. (( تهذيب الكمال في أسماء الرجال: (16/20)، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى: (1400هـ). [↑](#footnote-ref-3)
4. (( مجموع فتاوى ابن باز: (6/53)، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز: (المتوفى: 1420هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر. [↑](#footnote-ref-4)
5. (( صحيح البخاري: كتاب العلم: باب الاغتباط في العلم والحكمة: حديث رقم: (73). [↑](#footnote-ref-5)
6. (( كتاب: المستطرف في كل فن مستظرف: (ص: 16)، المؤلف: شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: 852هـ). [↑](#footnote-ref-6)
7. (( انظر: مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري: (1/479)، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني. [↑](#footnote-ref-7)
8. (( التاريخ الكبير: (1/342)، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري. [↑](#footnote-ref-8)
9. (( سورة المجادلة آية رقم: (11). [↑](#footnote-ref-9)
10. (( صحيح البخاري: كتاب الحيل: بَابٌ فِي تَرْكِ الحِيَلِ، وَأَنَّ لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فِي الأَيْمَانِ وَغَيْرِهَا، رقم حديث:(6953). [↑](#footnote-ref-10)
11. (( سورة آل عمران آية رقم: (133). [↑](#footnote-ref-11)
12. (( قصر الأمل لابن أبي الدنيا: (144)، الطبعة: الثانية، 1417هـ - 1997م. [↑](#footnote-ref-12)
13. (( اختلف أهل الأدب في نسبة هذه الأبيات فمنهم من ينسبها إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومنهم من ينسبها إلى أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى المتوفى: (٢٠٤هـ). [↑](#footnote-ref-13)